مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (36) العدد (5)2014
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (36) No. (5) 2014

ثقافة الاستغراب في الفكر العربي المعاصر

الدكتور عبد الله سيف الدين*

إنعام برهان حاج بكري**

(تاريخ الإيداع 20 / 8 / 2014. قبل للنشر في 22 / 10 / 2014)

□ ملخّص □

يعد التعرف على علم الاستغراب الذي ظهرت ملامحه في الفكر العربي المعاصر عند المفكر حسن حنفي، والمساهمة في تطويره بتحديد معالمه أولاً وبنقده ثانياً.هو اليوم أمراً مَطلوباً بل مُلِحاً لتفادي الوقوع في سياج هوية حضارية عربية مُتشنجة رافضة للغير بحكم مسبق وبفكر نصي قطعي لا يقل صعوبة عن قطعية ومحدودية العقل الأصولي السلفي المُحرم للاجتهاد والتعقل والمواكبة.

ويتناول البحث ضرورات تكوين علم الاستغراب على نحو تكون فيه الأنا العربية نزيهة من ما تلوث أنا الاستشراق الغربي الاستعماري الثقافي غير المباشر بعيداً عن مواقف رد الفعل المتمركزة على محور غطرسة الذات نحو فكر علمي عربي نهضوي همه الأوحد هو مواكبة العالم ودخول التاريخ مع صون الأنا دون ضرر ولا ضرار.

وذلك بتحليل ظاهرة تفوق الغرب والتحري عن مفاتيح القدرة و وأسبابها والتنقيب عن أسباب انصهارنا في بوتقة الحضارة الغربية، للحد من الانبهار المُبالغ فيه بها وذلك بهدف التخلص – أو إضعاف على أقل تقدير – من ثنائية شمال وجنوب أو عرب وغرب للوصول إلى حالة المشاركة العالمية في صنع مقومات الحضارة والكف عن حالة التبعية والأخذ دون مقابل. ودون ذلك لن تصحح صورة العربي والمسلم أمام نفسه أولاً وأمام العالم ثانياً.

إذاً هذا البحث هو محاولة للتركيز على الدور الريادي للعربي والمسلم في إمكانيته على تكوين آلية فكرية ليست براغماتية بل علمية تضمن مواكبة عجلة التاريخ دون صدام ودون تبعية. مما يحتم علينا التطرق لنقد مسألة الاستشراق كونها الفكر الذي يقف على الضفة المقابلة للفكر الاستغرابي.

وخاصة أن الغرب اليوم وبالتحديد أمريكا لا تتوانى على الحصول على أي مخطوط عربي ينتقدها وينتقد عنصريتها لتضعه في عين الاعتبار بما يخدم مركزيتها أو لمحاولة شراء الأدمغة العربية التي تفكر لصالح الهوية العربية والإسلامية لجعلها تعمل لحساب منهجيتها فلابد أن تكون إمبرياليتها ليست محض صدفة بل مبنية على كثير من السعي الدؤوب والمواكبة بلا كلل ولا ملل.

الكلمات المفتاحية: الأنا العربية، الأنا الغربية الاستعمارية، صدام، حوار، تبعية، حضارة، استشراق، استغراب.

* أستاذ مساعد –قسم الفلسفة –كلية الآداب والعلوم الإنسانية –جامعة تشرين –اللاذقية –سورية.

** طالبة دراسات عليا (ماجستير) –قسم الفلسفة– كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين – اللاذقية – سورية.

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (36) العدد (5)2014
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (36) No. (5) 2014

westernism culture in contemporary arab thought

Dr. Abdullah Saif Al-Din*
Enaam burhan Haj Bakri**

(Received 20 / 8 / 2014. Accepted 22 / 10 / 2014)

□ ABSTRACT □

to know the science of westernism whose features appeared in contemporary Arab thought by the thinker Hassen Hanafi, and contribution in its development via identifying its features first; "and to criticize it Second." is today considered to be a must, but rather urgent "to avoid having fallen in the limit of an Arab civilized identity which is convulsive and rejecting the other through a predetermined judgment and a textual thought which is undebatable and not less difficult than the undebntability and darkness of the fundament alist salafi mind that forbids diligence, rationality and development. The research deals with the needs to form the science of westernism as per the arab ego to be pure and free from western colonial cultural orientalism indirectly, being far from reaction as centeralized on the axis of self-arrogance towards uprising arab scientific thought whose concern is to keep abreast of the world and go into history with keeping up the ego safe and secure, through analyzing the phenomenon of western superiority and detecting the keys of power and its reasons to find why we are fused in the western civilization. This is to stop being fascinated excessively by that, to get rid of that or to lessen the duality of south and north or arabs and the western to get to a state of international participation in making the pillars of civilization, and to stop being annexed to the west and taking with no return. Not doing that, the picture of the arab and the muslim will not be corrected for themselves first and for the world second. Thus, this research is an attempt to focus on the leading role of arabs and muslims to have a thought mechanism, not pragmatic but scientific to keep abreast of history force with no clash or being annexed, so it should be noted that orientalism is a thought that stands on the opposite bank of the westernized thought . today, the west is especially fully ready to get any Arabic text to criticize it, including America, and to criticize its racism in order to be considered as serving their centrality in an attempt to make arab drain purchased especially those who think of the arab Islamic identity to have them work for their mythodology because this colonialism is not pure coincidence, but it is based on hardworking pursuit in avery tireless way.

Keywords: arab ego, western colonial ego, clash, dialogue, consequentiality, civilization, orientalism.

***Associate Professor, Department of Philosophy, Faculity of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia , Syria**
****Postgraduate Student, Department of Philosophy, Faculity of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia , Syria**

مقدمة:

الاستغراب الذي نتوخى أن نسلط الضوء عليه في هذا البحث هو ليس عملية رد على فكر قام بنسجه فئة من الغربيين الذين تحكموا بمسألة عرض العرب أمام الغرب والغرب أمام العرب بكيفية من صنعها بما يصب في وعاء تكريس الفارق الحضاري بين العقلين.

إنه ليس تقدماً للأعلى ولا تقدماً للأسفل (الطريق العامودي) الرومانسية والمادية بل تقدماً للأمام (أفقي) باتجاه مسيرة التاريخ والعالم والحضارة الإنسانية ونحو تطابق الفكر مع الواقع.

كما أنه ليس هدفنا بين هذه السطور تشويه الحضارة الغربية ودورها التاريخي أو نكران مقوماتها وعناصر بروزها التي جعلت منها حضارة متماسكة ومنتجة و فاعلة، لأنه من غير الممكن القفز المفاجئ نحو نقد للأصيل والمتماسك والعلمي الرصين من منتوجات الإنسانية. بل الهدف هو السعي ولو بصورة أولية للعمل على تأسيس المقدرة وتنميتها في عقلنا العربي وبخاصة عند القوى الفاعلة على رفض الوصاية والتبعية والتحرر من التسلط الخارجي بالأخذ بأسباب القوة بكل أنواعها وخاصة العلمية المادية لتصحيح مسار العقل العربي والعقل الديني هذا على مستوى الداخل؛ وفي مرحلة أرقى العمل على تصحيح مسار العقل الغربي وما اعوجَّ من عناصر حضارته الأصلية على يد المُستشرقين فقد غدى اليوم مُفرطاً في براغماتيَّته على يد فئة من الناس احتكرت تفسير كل من الحضارتين العربية والغربية وسيطرت على كيفية عرض كل منها أمام الآخر بصورة ملتبسة مشوشة وأحياناً زائفة وإلى حدّ كبير، مما أدى في نهاية المطاف إلى سوء فهم منقطع النظير بين الحضارتين، ونحن اليوم معنيون بحمل أمانة تفكيك الفكر التشويهي والتضليلي بأن نعمل على تشذيب الحال وإيقاظ الوعي ثم تصحيح صورة العربي والمسلم أمام الآخر فقلة الكفاءة فينا هي الطريق الحقيقي اليوم المُعبد إلى الهاوية ولن ينهار صرح الحق فينا إلا إذا تنازلنا عن الدفاع عنه وعن التشبث فيه وحمايته.

أهمية البحث وأهدافه:

تكمن أهمية البحث في:

في أنه يسعى إلى تحويل الحضارة الإنسانية من حالة مركز وأطراف كما هي اليوم إلى حالة تجاور للكشف عن دور جميع الأُمم في صنع الحضارة وإبراز دور الشرق والعرب والمسلمين كمصدر أساس من مصادر الحضارة الغربية مُغيب.حتى لو سعى الغرب بكُل قوته لتغييب تلك الحقيقة محاولاً إثبات أن مصدر معارفه هو التراث اليوناني والروماني والديانتين المسيحية واليهودية فقط. وأيضاً البحث محاولة للإجابة على تساؤل: هل الاستغراب عملية هدم للذات العربية أم بناء لها أم إعادة تكوين كلي ؟ ومن المفترض أن ذلك سيقودنا للكشف عن عظمة ديننا وشرقنا وعروبتنا.

كما يهدف هذا البحث إلى:

1-صرف النظر عن أي فكرة ترى أن الفكر العربي وأصحابه لم يبلغوا قدراً من المُقومات التي تؤهلهم لدراسة شعوب العالم عبر تاريخها ومن خلال سيرورتها

2-إدراك حقيقة مفادها أنّ الغرب اليوم لا يعرض نفسه علينا ولا يقدم معلومات عن نفسه إلا كما يحب أن يبدو عدى عن أنه يقوم بدراستنا دون أن نعلم وكأننا آلة أو جماد.

3- إدراك أن الغرب لم يترك جزئية ولا تفصيل من التاريخ العربي ومن حاضره إلا وقام بالتعمق في دراستها عدى عن دراسة كافة الميادين الأخرى من طباع وعادات وتقاليد للتنقيب فيها على مفاتيح التطور العربي واحتكارها.

4-العمل على تأسيس أنا عربية استغرابية تنتج بعيداً عن سمة الانفعال ورد الفعل لتكون ذات فاعلة تتسم بالنزاهة العلمية والدقة المعرفية فتغدو على وعي لما يجري في العالم.

5-الابتعاد عن الفكر الثائر وعن نفي الغير لإثبات الذات بل تركيز الهدف حول حماية الخصوصية والمصالح من الاضمحلال متحررين من أنا المد التوسعي الاستعماري والتعرف على مشاركات البشر بالفعل الإنساني للتحرر من الأنا الاستشراقية والأنا الاستغرابية وصولاً إلى ذات عربية مُبدعة ومتحررة من العصبيات الضيقة.

6-ضرورة البحث العلمي الدقيق للتعرف على الغرب في سيرورته للكشف على فكرة أن الغرب ليس كتلة واحدة ورأي واحد ولا عقل واحد وكذا الأمر بالنسبة للعرب والمسلمين وللشرق ولكل الحضارات الأخرى هذا الأمر يفسح المجال للتبادل الحضاري ولدخول العرب التاريخ.

7-معرفة أننا لسنا من ماهية واحدة وطباع واحدة لا يعني ألا تجمعنا بوتقة واحدة تنظم إبداعاتنا فتحررها من التسيب ومن تقاذف الرياح يُمنى ويُسرى وتخلصنا من الآليات التي تُخرِج وعينا من التاريخ.

8-نقد الذات والطباع إلى حدّ التجريح لأنه لا يبدأ التغيير إلا في لحظة ظهور العقل في التاريخ مُعبرا"عن صرخة في وجه الاستقالة والعزوف.

منهجية البحث:

بما أننا نسعى في هذا البحث لتكوين أنا عربية متماسكة ورصينة تتمركز على قاعدة من الاعتدال وتتمحور حول عنجهية الذات وعزتها لتغدو قادرة على نقد الغير ودراسته متجاوزة حالة السلبية والاستيراد الأعمى للفكر فلابد أن يكون المنهج المستخدم هو **منهج التحليل النقدي** للجهد التفكيكي. **والمنهج التاريخي** المادي الجدلي للتعرف على لحظات الذوبان والانصهار في الآخر.

الدراسات السابقة:

أهم الكتب التي تطرقت لهذا الموضوع هي:

كتاب *"مقدمة في علم الاستغراب"* للدكتور حسن حنفي.

كتاب *"من الاستشراق الغربي إلى الاستغراب المغربي"* للدكتور طيب تيزيني.

ونقد كل من الاستشراق والاستغراب في رائعة إدوارد سعيد *" الاستشراق"* نحو رحب مركزية إنسانية واحدة.

أولاً:معنى الاستغراب وأهميته عند حسن حنفي:

نرى أن جوهر المبرر الذي دفع المُفكر حسن حنفي لتأليف كتابه الشهير "مقدمة في علم الاستغراب " كان سعيا"منه لتأسيس مرجعية عربية إسلامية كبوتقة تُصهر فيها جميع الإبداعات العربية برؤية عقلية وبنزعة عربية واثقة تتطلع إلى عرض الذات بصورة حضارية أمام الآخر كبدء في إثباتها عالمياً كذات فاعلة ومؤثرة في القرار العالمي؛ وذلك بدخولها التاريخ ومواكبة العالم في صيرورته بالتنقيب على خصال الشعوب وامتيازاتها، لكن ليس بآلية فضولية بل بمنهج فكري يتعاطى مع الحضارات العالمية وبخاصة الغربية المسيطرة وتتعرف عليها من موقع ذات فاحصة محللة وناقدة متحرر من الاستطالة الحضارية المرسومة في ذهنه عن الغرب، إننا نعتقد أن هذا الفعل الفكري العملاق وإنجازه

بروية وتعقل تحرّر يفوق التحررات العسكرية؛ أو بالأحرى هو سبيل تحررنا اليوم من سلطة الاستعمار الغير المباشرة التي احتلت العقول كمقدمة لاحتلال الأراضي و الخيرات، وهذا لأن تبعيتنا المُفرطة للغرب أصبحت كالحال المُتجسد في قوله تعالى:

" وما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر أن لاتعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون "[1]

علم الاستغراب المرجو تأسيسه في الفكر العربي المعاصر هو ليس نضال ضد أي حضارة ولا جهد فكري تدميري، بل هو فتح عقلي يركز على دعم واستيعاب مواطن النور في الحضارات لتفهم مفاتيح النهوض البشري وللتعرف على نقاط الإبداع دون نُكرانها على أصحابها ودون التوقف جانباً على هامش الرَكب الحضاري، بل العمل على تقديم الفائدة وعلى إخصاب عملية التقدم بِمُشَاركة ذات مُسمى عربي؛ مَرَّة مُكَمِلَة ومرة داعمة لما عند الآخرين.

لأن (كلمة السواء) مع لا إله إلا الله لا تعني شيئاً أكثر من ذلك، أي لا تعني أكثر من الإيمان بالتدريب والمران الذي يتيح لجميع الأجناس الإبداع والإنتاج انطلاقاً من الإيمان **بوحدة العقل***، لكن السواد الأعظم من الناس في نادي العرب أوفي نادي الغرب أكثر ما يهمه هو التحكم وفرض الهيمنة لدعم المصالح الشخصية.

" كلمة السواء جاءت متأخرة، وإلى الآن، كثيرون لا يقبلون بها. أمريكا لا تقبل كلمة السواء، لأن حق الفيتو ضد كلمة السواء، ولا نحن أيضاً نقبل كلمة السواء، أننا نريد أن نحكم رؤوس الناس ...كوننا أبناء الله، دوخنا العباد، وفتحنا البلاد، ونريد أن نستعمرهم، هذه هي الفكرة مهما سُميت، بمعنى أن فكرة الإنسانية، لم تدخل في قلوب الناس."[2]

ففي الضفة الغربية يمكننا أن نبرهن على النفور من فكرة وحدة الإنسانية في ما ذكره المفكر ادوارد سعيد عن سمات الرجل الأبيض الغربي والتي كان من أهمها هوأنه شخص مُستعد للعنف إذا تعارضت الأمور مع مصلحته فهو مُقاتل بارع إلى جانب صفة التخطيط والعبقرية المَنسوبتين إلى صفاته.

"ووراء قناع القيادة الودودة على وجه الرجل الأبيض، ثمة دائماً الاستعداد الواضح لاستخدام القوة، ليقتل ويُقتل"[3]

لذلك يعتبر أن الكارثة التي يمكن أن تصيبه هو أن يُجَرَّد من أسلحة القوة و القدرة، وأن يكون خاسراً في موقف ما.هذا يدفعنا للنظر مرات ومرات في تحديد كيفية تكوين علم الاستغراب كمقابل للفكر الاستشراقي الاستعماري الإمبريالي لضرورة تجنب الصدام الحضاري. لأنه وكما ذكرنا أن الحضارة الغربية هي الأخرى لا تأخذ بكلمة السواء لأنها تؤمن بتقدم العرق الآري الأوروبي ومقدرته التي ينبغي –وكما تحب أن يكون– متفوقا" على جميع أجناس الأرض بمن فيهم الجنس السامي العربي.

---

[1]– القرآن الكريم: *سورة يوسف*، آية40.

***انظر: *مقدمة في علم الإستغراب* ل د.حسن حنفي. الاستغراب ليس أيديولوجيا ولا عاطفة ولا حماس أو شجار ولا تحريض ضد الآخر ولا أزمة ذات مهزومة مُنتهية بل هو ممارسة عملية لجدل الأنا والآخر بهدف تحرر الأنا العربية من هيمنة الآخر، وهو علم لأنه يقوم على تحليل الواقع بأكبر قدر ممكن من الحياد و الموضوعية، وهو أيديولوجيا بناءة لأنه ضد الأحكام المسبقة وضد الإنفعالية. ...بتصرف 94–95.**

[2] إبراهيم، منصور: *الأمة ..الدين ..الدولة أفكار لزمن قادم*، دار الشموس، دن، 1999، 167.

[3] سعيد، إدوارد: *الاستشراق*.المعرفة.السلطة. الإنشاء ، ت: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 235.

***انظر: كتاب " *الحضارات حوار أم صدام* "لروجيه غارودي وفائز هشام البرازي وآخرون بتصرف 64.**

فالغرب الإمبريالي أصبح اليوم مُرعِبًا" بكل ما تعنيه الكلمة من معان لأنه هو اليوم الوحش المصاب بهوس إبداع آليات التفوق وهو في هذا الإطار يزداد شغفه المُفرِط يوما" بعد يوم ليحظى على رضوخ الحضارات واستسلامها وعلى إعلان إفلاسها ولن يطمئن حتى يرى فيها ملامح الرضوخ الأبدي.

وتحرر الذات العربية من خلال علم الاستغراب لن يكون تحررا" خاصا" بالقضايا الهامة الكبرى كالثقافة والفكر والاقتصاد والتاريخ ومنها إلى تحرر الأراضي؛ بل هوتحررا" يتجلى في كل المظاهر وبكل التفاصيل بما فيها فن العمران والبناء وصور الفنون بكل أشكالها. ليكون ردا" مُتكاملا" على اعتبارات كالتي ترى:

" بأن الغرب مرآة تساعدنا على رؤية أنفسنا في السلم الحضاري، وتحدد لنا أية درجة نقف.. وكيف سنتوجه وأية أدوات نستعمل لاستكمال مشروع المعاصرة "[4]

وعلم الاستغراب المرجو هو الذي يُمكننا من دراسة أي فكر مهما كان نوعه أو لونه أو زمانه بالاستناد على مرتكز قوي يصون الهوية والتاريخ ويحفظ الذات العربية، وعندئذ فقط تصبح أزماتنا العربية عابرة وليست مستعصية لأننا سنغدو قادرين على التخطيط المُتَحَرِّر من التبعية والتفكير بعين عربية ومن مُنطلق محلي.

فالسعي لتأسيس علم الاستغراب يعني تملك حالتين تصطبغ بِهُما الشخصية العربية؛ حالة الجرح النرجسي كتعبير عن حالة الفوات التاريخي كما سمى جورج طرابيش؛وحالة الاعتزاز بالذات. وكِلتا الحالتين ينبغي أن تشكل عندنا حالة من استنفار الوعي، نسعى لتوظيفه في خدمة نهضة عربية علمية. فالشعور بالمرارة والنقص أمام الغرب ينبغي أن يقودنا إلى نقد العقل للوصول إلى عقل نهضوي، فالنهضة ليست بزخا" في المأكل والملبس والمسكن و..إلخ ولا بزخا" في الألقاب، بل هي بزخ في التنظيم وبزخ في إرادة الوجود وهي بالمرتبة الأولى والأخيرة عقل ناهض.

والاستغراب –حسب ظننا– ينطوي على جهد فكري عربي بعيد عن الوَلَه والوَلَع بالغرب، وبعيد عن الحقد والضغينة نحو الحضارات الكبرى الزاهرة، فليس تطورنا المرجو هو رؤية الغرب دون سواه كمَنبَر للرفعة والتقدم وليس غَرَقًا" في دوامة الإعجاب به إلى حَدّ تلاشي الهوية، ولن يكون نهوضنا المرجو بالمقابل ببغض الآخر وكرهه، لأن كِلا الحالتين هي ثغر ونقاط ضعف يستثمرها الغرب للتغلغل...*

ويبقى السؤال: هل حكم الآخرين على عقلنا بأنه نائم ومستقيل لأنه كذلك؟ أم هو غدى عقلا" مهزوما" لما أراد الغرب أن يحكم عليه على هذا النحو! وفي كل الأحوال يبقى الأمر الجوهري مُنصبّاً على قضية ما يمكن تسميته بالمُقاومة؛ مقاومة الضعف وقلة الكفاءة إن كان سببها منا أومن الخارج. وبِتوضيح المُقاومة المعنية أكثر هنا هي صراع دائم بين الأبيض والأسود، وبين الفكر الحرفي القطعي وبين الفكر المَرِنْ الفيّاض بالمعاني، وبين المُجَدَّد في الفكر بما تقتضيه المصلحة العامة وبين المُحافظ منه؛ مع الانتباه إلى أَنَّ المُحَافَظ من الفكر قد يكون احتفاظ بالبالي أوقد يكون احتفاظ بالمُثمِر والمميز.إذا" هي تجسد للحظات انتقال من حال إلى حال آخر أكثر تقدم.

وهكذا يغدو علم الاستغراب ثقافة لا يفهما اليوم إلا الأقوياء؛ بل غدى حاجة للأقوياء، ولا يتحسسها إلا من جُبِلَت فطرته على الكرامة، وهو آلية فكرية لابد منها لكل من امتلك النادر والنفيس والغالي، ولأنه ليس على الثمين أن يتلاشى أو يضمحل لابد لنا من ذات تحصن ذاتها على الدوام. فتطوير الفكر العربي مع الإستغراب هو تطوير من داخله وبآلياته ومصطلحاته .وبعد أن وضحنا هنا معنى علم الاستغراب وأهميته ننتقل للتغلغل في توضيح ماهيته في أنه عملية مُناهضة للفكر التغريبي المفروض على شخصيتنا العربية.

---

[4] **إبراهيم، عبد الله: *الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة*، المركز الثقافي العربي، ط1، 1999، 56.**

ثانياً:الاستغراب رداً على التغريب:

رفض حسن حنفي في كتابه *"مقدمة في علم الاستغراب"* تحول الأنا إلى الآخر بالخضوع لغزو العقول وبالاستسلام للتغريب الثقافي الذي يعتبر اليوم احتلالا" أشد خطورة من التغلل العسكري أو التحكم الاقتصادي.

"ومما لاشك فيه إن قضية الهوية أو الأصالة تكمن وراء مشاكلنا الاجتماعية والسياسية لأنها هي المشكلة الحضارية. وما زلنا منذ فجر نهضتنا العربية الحديثة نطرحها، وندعو لها، وننبه عليها، ولم نحلها بعد.ربما كانت معظم تياراتنا الفكرية الحديثة أقرب إلى التغريب منها إلى الأصالة. فالإصلاح الديني (الأفغاني) والليبرالية السياسية (الطهطاوي) والعقلانية العلمية (شبلي شميل) كلها ترى الغرب نمطا" للتحديث ونموذجا" للتقدم ترى صورتها في مرآة الآخر مما ولد الحركة السلفية حتى أصبحت وريثة الإصلاح، وقضينا على الليبرالية بأيدينا باسم الثورات العربية الأخيرة. وانتهى العقل والعلم من حياتنا بذيوع مسوخ الإيمان والخرافة "[5]

ربما ما سلب النهضة العربية الأولى التي ينتمي إليها المفكرون المذكورون في المقطع السابق مفعولها واستمراريتها وما أضعف صمودها هو منهجيتها الخاضعة للغرب، ذاك الغرب الذي شلّ عقول مفكريها عن الإتيان بما لم تأتي به. فالتحرر الذي ننشده اليوم هو تحررا" في المنهج الذي طالما أبقانا في حالة من التبعية للفكر الغربي؛ وهو في السعي للتنقيب عن عقول عربية علمية مُبدعة لدعم إنتاجها وتعميمها على منابرنا الثقافية، والتحرر أيضا" يكون في البحث عن كيفية للتعامل مع استقالة العقول واضطراب الإيمان الذي كان وما زال الطريق المُلَغَّم الذي يعطل مسيرة الذات العربية نحو الإنطلاق والإبداع؛ ومتى أصبح عقلنا العربي مُستقيلا" مُنسحبا" ومحروما" مِن المُبادرة والتفاعل مع العالم غدى عرضة للاختراق وللخضوع الأعمى لغيرنا .

" فأنا كذات عربية لا يمكنني أن أصغي إلى الآخر إلا حين أكون مُعدَمَاً لا أملك شيئاً وحين أكون في عطالة قاتلة "[6]

وما جعلني في عطالة قاتلة اليوم هو تجاهل اعتبار الظروف المتغيرة ومقتضيات الحال العربي والمصلحة العامة؛ فالفكر الحق الفعّال هو المُتجدد مع متغيرات الواقع ودون تفهم ذلك لن نكون مُؤَهّلين اليوم لمواكبة عجلة التاريخ. وما يسمى إقصاءا" حضاريا" للذات العربية هو في أحد صوره وزر يقع على عاتق ذاتنا العربية نحو حضارتها، في صورة عزوف وتراجع لذات أصبح هَمَّها اللّذات العابرة والمنفعة المؤقتة بما يخدم المصالح الضيقة المحدودة الأفق والنطاق، إنها الذات الباردة التي اعتادت الخنوع واعتادت على التفكير بما يخدم وضعها الحالي دون إقامة اعتبار للمصلحة العامة، والإقصاء في صورة أخرى: إرادة ضامرة عند الغرب لتنحيتنا حضاريا" أو لتكون وصية على نقلنا للتمدن؛ فأصبحنا بحاجة لوصي عندما سَمَحنا لمن دوننا بالكفاءة بالتكلم عنا وأعطيناهم الفرصة للبروز والتصرف فغدو واثقين بأنفسهم إلى حدٍّ يبدو للمُشاهِد أن كل الحق معهم في حين أصيب المفكرون والمثقفون بالتردد ووقعوا في موقف من الضعف والتشويش. لذلك ركز حسن حنفي في مسألة علم الاستغراب على تعزيز الثقة بالذات العربية وتنميتها لتحقيق التطور الحضاري العربي وذلك حسب ظننا أمراً ضرورياً لأنه:

" لا ييأس من رَوح الله أحد إلا الذي ضَعُفَت ثِقَتَهُ بنفسه، ولم تتضح رؤيته لإمكاناته، ولم يَسبِر قوانين التاريخ."[7]

---

[5] **حنفي، حسن: *مقدمة في علم الاستغراب*، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1991، 26.**

[6] **بن عرفة، عبد العزيز: *الدال والاستبدال*، المركز الثقافي العربي، ط1، 1993، 25.**

[7] **حنفي، حسن: *مقدمة في علم الاستغراب*، مصدر سبق ذكره، 96.**

فتحقق الأنا العربية كذات فاعلة ومنتجة ومواكبة متوقف بصورة أساسية على فكرتنا عن ذاتنا وعن تحديدنا لأهدافنا وعن رسمنا لغاياتنا المرجوة؛ بنفس الآلية التي ينزل فيها الوحي الإلهي معبرا" عن ارتباط الفكر بالواقع وهو نفس ما قصده حسن حنفي في كتابه " مقدمة في علم الاستغراب " عندما عدّ أن كلام الله هو نفس كلام الإنسان فمنا البداية ومنه التمام. وما يبدو خارقا" ومعجزا" هو في الحقيقة غياب التعرف على الأمور بمسبباتها فتبدو الأمور الخارقة من وجهة نظر محدودة القدرة، ونور الله معناه أن يُكشَف للإنسان الأسباب التي تقف وراء حدوث الظواهر الإنسانية.

وهكذا فالإستغراب هو حل مقترح لمشكلة العالم المتوسط (وهو الأنا العربي) المالك للثِقَل الحضاري بكل أشكاله وأنواعه الأمر الذي جعل صِراعه مع الآخر هو صراع مُتعدد الجبهات؛ لأن الآخر بالنسبة لوطننا هو آخرين فنحن نعاني اليوم من الجذب الحضاري والكل يُريد أن يَصهرنا في بوتقته كتابع وملحق بما يخدم سياسته. لذلك سعى الغرب جاهدا" ومازال إلى عملية التفتيت وتقطيع الأوصال والتفكيك البنيوي بهدف إضعاف الأمة العربية وشرذمتها كمقدمة لترسيخ التبعية وذلك بسلك مسلك الغزو الفكري والثقافي. فلابد في ظل هذا الوضع أَن يكون وعينا لذاتنا أضعاف مضاعفة لوعي الآخرين لذاتهم وأن يكون تقديرنا لأنفسنا يفوق مئات المرات تقدير الآخرين لأنفسهم. قد يتساءل الكثير لماذا؟ السبب بسيط هو في أن نتمكن من مجابهة كل ما يعوق تبلور الذات العربية وتعاظمها تلك الذات المحاطة بآخرين كل منهم يريد أن يسحبها لما يخدم صالحه وكأن لا كيان لنا ولا مصالح ولا تراث مميز. مع الاستغراب يقلب سيناريو الاستشراق الذي يدور على بلادنا فنغدو مصدرين للغير لكن بعد حفظ الذات وترسيخ الكيان وبعد تأصيل الثقافة والتراث المحلي. نقتبس حضاريا" بوعي ونصدر من حضارتنا بوعي أي بتحصين الذات أولا" دون أن أضر كياني؛ أندمج حضاريا" على أن لا أقف في مكاني أعطي ولا آخذ. وهذا يستدعي هنا قوله جل وعلا في وصف حالة الإنسان الذي لن يتغير حاله دون تغيير خططه الفكرية:

" له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا" فلا مرد له وما لهم من دونه من وال "[8]

فالتغريب الذي تعاني منه الذات العربية كطريق تلجأ إليه لمواكبة العالم يتحمل مسؤوليته العرب والغرب كلاهما على حد سواء، فالغرب لا يوفر فرصة للتغلغل في كياننا العربي بتركيزه على مواطن الضعف والعجز ليسري عبرها مسرى السيل.

" ويجب ألا ننسى هنا أن مسؤولية ما يحصل يتحملها الطرفان معا" المُرسِل والمُرسَل إليه، فهناك من يغزو، وهناك من يملك قابلية حصول الغزو "[9] أي الغزو الثقافي لذلك كان الاستغراب الذي طمح حسن حنفي لتأسيسه في أحد صوره ثقافة مُقاومة وذلك ما يجده القارئ لكتابه "مقدمة في علم الاستغراب" في مواقع عدة وفي جمل منها " أنا أقاوم إذاً أنا موجود "

والاستغراب أيضا" هو تحقيقا" لنهضة عربية مُعاصرة بطريق الفكر النقدي والعلمي وبأداة إعمال العقل تعبيرا" منا عن شوق للتغيير وعن رغبة في تنظيم أمور الحياة، لذلك لا يُستنكر عدّه صرخة صامتة لشعب أَرهقه قتل الطاقات

---

[8] القرآن الكريم، *سورة الرعد*، آية 11.

[9] عبد اللطيف، كمال: *مفاهيم ملتبسة في الفكر العربي المعاصر*، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1992، 57.

***هوس التغيير قصد به حسن حنفي تحرر الأنا العربية من الخوف من الآخر وخاصة الأوروبي والتحلي بالفضول العلمي والمعرفي والسعي للتعامل مع الآخر من منطق القوة وتطوير ملكة التعامل وتحويلها إلى فن ومهارة من وجهة نظر ترى الآخر من فوق لا من تحت والكشف عن أن الوعي الأوروبي تاريخي وليس خارج التاريخ.بتصرف 97.**

وخنق الإبداع وليس من الغريب تشبيهه بالرماد الذي ينتظر فرصة الاشتعال تحت جمر التخلف ليضئ دروب الخلاص العربي.

فالتغيير يبدأ بلحظة ظهور إرادة التعقل كحاجة صارخة للخلاص من التخلف وهو –أي التغيير– ضرورة مُلحة تصر على تفجير ذاتها فلا مانع من تحويل المطلب الملح للنهضة المتوخاه مع علم الاستغراب إلى صراخ ونحيب أو حتى إلى **هوَس***.

وما يدفعنا أكثر لتأكيد ضرورة تأسيس علم الاستغراب هو نظرية تفوق الجنس الشمالي على الجنس الشرقي والجنوبي المزعومة والرد على أقوال منها:

"أن المجتمع لابد أن يتغرب بكامله لكي ينجح تحديثه. أي تدمير ثقافة دامت قرون لإحلال ثقافة جديدة مستوردة من حضارة أخرى."[10]

وعزى بعضهم السبب الكامن وراء ضعف ثقافة الاستغراب وحلول الشخصية المغتربة هو ضعف الفضول العلمي اليوم لدى المفكرين العرب والمثقفين المسلمين على حين أنه يتواجد كظاهرة قوية عند المثقفين الغرب منذ عصر نهضتهم الغربية على العصور الوسطى الأمر الذي شَكَّل محفزا" قويا" للكشف عن أسرار الحضارات ودراستها من موقع المُتشوق، ربما ساهم هذا في ضعف الاتجاه الاستغرابي ضعفا" كبيرا" أمام الاتجاه الاستشراقي* الذي غدى –بعد أن حَصَّن عنجهيته وتأكد من تفوقه وتميزه– يرى الأمور من منظار الرغبة المطلقة في السيطرة وتحقيق المَد والتغلغل انطلاقاً مِن المَشهَد التالي: " فالعنصر الأبيض هو الذي يحتكر الجمال والذكاء والقوة. وباتصاله بباقي الشعوب انتقلت إليها صفة واحدة من الصفات الثلاثة. فهناك شعوب بها الجمال دون القوة والذكاء، وشعوب أخرى بها القوة دون الجمال والذكاء، وشعوب ثالثة بها الذكاء دون الجمال والقوة وقد كانت هذه النظرية العنصرية أحد المكونات النظرية للاستعمار الأوروبي، سيطرة الجنس الأبيض على الأجناس السوداء والصفراء والسمراء في إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية. " [11]

ومع أن الغرب يحاول اليوم أن يرينا أنه قد عدّل من فكره العنصري لكن الأمر في حقيقته هو على خلاف ذلك فالغرب ما زال مُستغرق إلى حد الهوس في تكريس الثنائيات وأكبر دليل على ذلك ما يجري اليوم على ساحة العرب، كذلك وبغض النظر عن الكيفية التي تَرَسَّخَ من خلالها الفوات العقلي والتطوري بين الحضارتين مع أن بينهما تداخلا" وأخذا" وعطاءا" بما لا يخفى عن أحد من المثقفين والمُطلعين على تاريخهما لا يُمكننا تجاهل مسألة: " إن العالم العربي منذ الغزو التغريبي له أجبر على العيش في حالة من الانشطار الذاتي في كيانات متعددة طبعت تاريخ المنطقة العربية في العصر الحديث. "[12]

ولأن الغرب حسب نظريات المستعمرين والمستشرقين وصَفَ جنسنا السامي بالجاذبية والسحر والجمال فقط؛ دونما عقل علمي ودون قدرة على البحث والتجريب وجب علينا اليوم أن ندرك أنه بالمران والتدريب وإرادة النهضة وبالشوق للأصلح وأنه بالسعي لتفجير الإمكانات ستكون جاذبية عرقنا الموصوفة تخفي في طيَّاتها عقل علمي عربي

---

[10]– غارودي، روجيه وآخرون: *الحضارات صدام أم حوار*، دار حوران، دمشق، ط2، 2004، 17.

***انظر: أركون: محمد وآخرون في كتاب " *الإستشراق بين دعاته ومعارضيه* " ، دار الساقي، ترجمة وإعداد: هاشم صالح، ط1994،1، بتصرف 240.**

[11] حنفي،حسن: *مقدمة في علم الاستغراب*، مصدر سبق ذكره، 391.

[12] عبد الغني، مصطفى: *تيارات الفكر العربي المعاصر*،المجلس الأعلى للثقافة، دم،2001، ص99.

نهضوي، وإضافة لما سبق بقليل من الإيمان الحق ستُحفظ امتيازاتنا فسنغدو آنذاك شعوب مُمتلكة للقوة والذكاء والجمال. هذا ما يمكن أن تضيفه حضارتنا لو نهضت على حضارة الغرب وهذا ما يمكن أن يمتلك جنسنا العربي من صفات تضاف على صفات "الوحش الأبيض" الكامل الذي طالما تم العمل على التنظير له. لأنه ما المانع من أن تتلى الحكم العقلية والمعطيات العلمية بصورة شعر أو سجع أو نغم أو بأسلوب رمزي أخاذ وما المانع أن نوجه معطيات العقل بهداية القلب فنكون آنذاك قد أسسنا العلم والعقل على السحر والجاذبية وليس على الجمال فحسب. ذلك ليس أمرا" مستحيلا" خاصة إذا عرفنا أننا نحن المُنتمين إلى مناطق معتدلة المناخ بشكل عام أنه هي كما وصف الفيلسوف "ابن خلدون" في كتاب المؤلفة زينب الخضيري "فلسفة التاريخ عند ابن خلدون" في المقطع المنتقى الآتي:

" إنّ المناخ المعتدل يجعل الناس معتدلين في كل شيء : أجسامهم وألوان بشرتهم وأمزجتهم وأخلاقهم . ليس هذا فقط بل إن الأنبياء لا يظهرون إلا في المناطق المُعتدلة ! وعلل ابن خلدون هذا الرأي المادي فيما يتعلق بظهور الأنبياء بأن الأنبياء والرسل إنما يختص بهم "أكمل الأنواع". ونعتقد أن هذا الرأي، رغم تعليله، يمتاز بجرأة شديدة لأنه يمكن أن يؤول على أن النبوة هي أيضا" كأي نوع من أنواع الإنتاج الفكري، نتاج مناخ معين، أي أنها نتاج ظروف مادية معينة. "[13]

وهكذا لا ندري إن كنا نمتلك الحق أو الجرأة في وصف نظرية تفوق وامتياز الرجل الأبيض بأنها تحريف لما قدمه **ابن خلدون عن نظرية الاعتدال*** التي يتمثلها العربي أصدق تمثيل وخاصة في منطقة بلاد الشام؛ فالتميز برأي ابن خلدون هو في التوسط والاعتدال في كل ميدان وكل تفصيل بدءا" من المقاصد الكبرى انتهاءا" بالمأكل والمشرب والملبس والمسكن.

لكن هذا لا يعني أننا مميزون لمجرد كوننا ننتمي لمعتدلي الجنس والمناخ فما ذلك إلا أرضية أولية يتأسس عليها سياق كامل من التصرفات والأفعال والمنهجيات التي تتطلب تطوير في كل آن وتحتاج لنقد وتحسس دائم. ولأنه طالما سعى الغرب ومازال لتتميم وتغذية تاريخ النهر الخالد قام بتطوير قدراته وبتكثيف المران والتدريب فاحتكر كل صفات الإنسان العليا.

التميز الذي نسعى لبنائه مع علم الاستغراب على قاعدة وهوية عربية هو رسالة حضارية لا تهدف التمركز على غطرسة الذات بل هو –أي التميز– سعي دؤوب لنصرة ما يستحسنه العقل وما تحبذه الفطرة الطبيعية السليمة؛ وهو مركزية إنسانية تنصب على مواطن القوة والقدرة والكفاءة التي نبغي تطويرها بالتدريب. وهكذا فنقد الذات اليوم ينطوي على الاعتراف بالفوات التاريخي للعرب والمسلمين ثم في مرحلة لاحقة السعي الدؤوب لتغييره.

" إن الإقرار بالتأخر الثقافي العربي، كما نفهمه، هو إقرار بوجود تأخر تاريخي، أي تأخر نسبي. فنحن متأخرون ثقافيا" في الزمان، ونستطيع داخل دائرة الصراع التاريخي الزماني، أن نلغي تأخرنا الثقافي، وأمامنا في تجارب التاريخ القريب والبعيد أمثلة متعددة في هذا الباب. "[14]

---

[13]– الخضيري، زينب محمود: *فلسفة التاريخ عند ابن خلدون*، دار التنوير، بيروت، 2006، ص103.

***انظر: كتاب" *فلسفة التاريخ عند ابن خلدون*" ل د زينب الخُضيري يوضح موقفا" جريئا" ومميزا" لابن خلدون حول النبوة وهو موقف ذي نزعة مادية تجريبية لا يتعارض مع إيمانه القوي بالله، فقد اعتبر أن النبي كائن بشري وله خصائص وقدرات البشر ولكنه يتميز عنهم بحياة مستقيمة، والنبي له هدف عملي تبشيري يوجه الناس للخير ويسن قانون يصون المجتمع فيكون له دور كبير في تطور المجتمع وسير التاريخ بتصرف ص111–112–113.**

[14] عبد اللطيف، كمال: *مفاهيم ملتبسة في الفكر العربي المعاصر*، دار الطليعة ،بيروت،1992، 60.

ما يتطلبه الأمر هو الثقة الواعية بالشخصية العربية والإيمان بالذات ككيان قادر على استنبات نهوضه من مرجعيته العربية والإسلامية ولن يكفِ ذلك دون عمل مشترك ودون صمود في وجه المُخططات الاستعمارية بآليات فكرية وبمناهج هامة لنقد بعض جوانب العقل العربي وهذا يقودنا إلى ضرورة طرح عنوان كالآتي:

ثالثاً:نقد الذات والتنقيب عن الثقافة الحية والثقافة الميتة في طيات حياتنا:

تتطلب ثقافة الاستغراب التي نطمح اليوم لتحويلها إلى علم دقيق وإلى جعلها تخصص مهم عملية تحتوي على آليتين فهي مرة نقدا" للذات للتحري عن الأسباب الكائنة وراء الضعف والتخلف ومرة تعزيزا" للذات واعتدادا" بها؛ على أن لا يكون ذلك الاعتزاز مَحضُ غطرسة جوفاء لذلك كان لابد من تركيز الهدف نحو السعي لدعم المقدرة بكافة المجالات والأصعدة. فهل من المعقول أن يكون كلام مستشرق كسميث في الكتاب المميز لإدوارد سعيد " الاستشراق " كله لغط ولغو وبخاصة إذا عرفنا أنه كان: " في وسع سميث حتى دون رعشة واحدة أن يتحدث عن عادة العقل العربي الصبيانية، العملية، واللادينية بطبيعة تركيبه، وعن الإسلام كنظام من (النفاق المنظم)، وعن استحالة الشعور بأي احترام للورع الإسلامي، الذي تقلص فيه الشكلانية والتكرار الفارغ وتحالان إلى نظام . وليست مهاجمته للإسلام نسبية، إذ أنه جلي في نظره أن فوقية أوروبا والمسيحية فعلية لا متخيلة. ورؤيا سميث للعالم، في أعماقها، رؤيا ثنائية كما هو بيّن في المقطع الآتي : إن المسافر العربي مختلف عنا. فجهد الانتقال من مكان إلى مكان بالنسبة إليه إزعاج صرف؛ وهو لا يشعر بمتعة في بذل الجهد (كما نشعر نحن). وليس في وسعك أن تقنع الشرقي أبدا" إنك، حين تترجل عن راحلتك، قد تكون لديك أي رغبة أخرى سوى أن تجلس القرفصاء على بساط فورا" وتستريح، تدخن وتشرب. وعلاوة، فالعربي قليل التأثر بالمناظر الطبيعية (أما نحن فتأثرنا بها عميق)."[15]

لكن قد يندفع الكثير منا متهماً الغرب ومشككاً في مصداقية أطروحاته وقد يمقت الكثيرين من العرب والمسلمين الأسلوب الغربي الساخر من الشرق والإسلام، لكن لا يمكننا وضع كل الوزر واللوم عليهم لأن أي منصف عربي اليوم يود التفحص في الطباع العربية ويتقصد التبحر في أسلوب عيشهم ونمط حياتهم من وجهة نظر موضوعية بعيدة عن الاعتبارات الشخصية يجد أن الكثير الكثير من العرب وهذا ليس أمرا" مبالغا"فيه يتصف ببعض ما وصفه المستشرقين عدى عن أنهم يكدحون لأجل الغرائز كالتي تنطوي تحت بند حب السيطرة والتملك والاستحواز على المفيد والنافع والجميل ولو بطريقة غير مستحقة أو بسبل غير مشروعة من مقاييس الحضارة، هذا جعل الكثير من اللاعقل أو البأس يحصن وجوده مرتديا" لباس من المشروعية دون تملكها حقا"، وهنا نعود مرة أخرى ودون تردد لنضرب مثلا" على ذلك يوضح الفرق بين السلطة المستحقة والسلطة اللامستحقة وهو الفرق بين سلطة نبي الله موسى وسلطة فرعون أكبر طاغوت عرفته الأرض؛ وكذلك الفرق بين سلطة نبي الله يوسف وفرعون من منهم كان مُعبرا" عن التقوى التي هي مُراعاة لنظام الكون وعلاقاته السببية ومن كان أقدر على إدارة أزمة البلاد في قصة يوسف (أزمة القحط والجفاف). فليس من المُستبعد أن يكون الكثير اليوم غير مُستحق لما يملك وهذا جعل أوصاف المستشرقين كالتي ذكرناها في المقطع السابق:"تطغى هذه الآراء المُعاصرة للمُستشرقين على الصحافة والعقل الشعبي. فالعرب، مثلا"، يُتَصَوَّرون راكبي جمال، إرهابيين، معقوفي الأنوف، شهوانيين شرهين تمثل ثروتهم غير المستحقة إهانة للحضارة الحقيقية. وثمة دائما"، افتراض متربّص بأن المُستهلك الغربي، رغم كونه ينتمي إلى أقلية عددية، ذو حق شرعي إما في امتلاك معظم الموارد الطبيعية في العالم، أوفي استهلاكها (أو في كليهما). لماذا؟ لأنه، بخلاف الشرقي، إنسان حق." [16]

---

[15] **سعيد، ادوارد: *الإستشراق*، مصدر سبق ذكره، 244.**

[16] **سعيد، ادوارد: *الإستشراق*، مصدر سبق ذكره، 131.**

نحن نعلم ودون شك أن الغرب يدرك تماما" أننا لسنا راكبي جمال ولا معقوفي الأنوف؛ لكن لم يكن ذلك منهم سوى تشبيه رمزي لحالة الإنسانية العربية الهاوية وتجسيد لكثير من الطباع العربية المُنحدرة التي تتواجد في ثنايا البيوت الجميلة والأثاث الفاخر والملابس المُزركشة أحيانا" أو غالبا" بنسب متفاوتة.

وإنه من المُنصف أن نعترف بأن الغرب مُحِق في كثير من هذه الأوصاف عدى عن أنه من غَير المُجدي اتهامه وتخوينه وخاصة إذا تأكدنا بأنه لم يأتي بهذه الأوصاف من فكر مفارق بل كان ما قدمه نتيجة لبحث وتحقق. ويمكننا القول : أنه لا نهضة عربية متحررة من مد الاستعمار الغربي مع المُجاملة ولاتغيير جدير بالذكر مع الركون للتخلف لمجرد أنه مألوف وسائد وذو مشروعية عامة، وأكبر دليل على أن الغرب محق في الكثير من أوصافه هو مثلا" عندما يَعتَرِض طريقك جَار مُزعج لا يكل عن الترقب والترصد لكل حركة أو إطلالة لك مِن مَنزِلِك.

فثقافة الاستغراب التي نسعى لتأسيسها لابد أن تبدأ بعملية تنقيب حقيقية عن مُستحقين ممن يحملون صفات الإنسان وحمايتهم ومن ثم تبرئتهم من تهم سلفية الفكر الإستشراقي؛ وذلك بِمُنَاهضة تصورات ملتصقة بعقلنا العربي كالتي تظهر في المقطع التالي مثلاً: " يظهر الشرقيون والعرب سُذَجَا"،غافلين، مَحرُومين من الحيوية والقدرة على المبادرة، مَجبُولِين على حب "الإطراء الباذخ"، والدسيسة، والدهاء، والقسوة على الحيوانات؛ والشرقيون لا يستطيعون السير على الطريق أو الرصيف (فعقولهم الفوضوية تعجز عن فهم ما يدركه الأوروبي البارع بصورة فورية، وهو أن الطرقات والأرصفة شُقَت وبنيت لكي يُمشى عليها)؛ والشرقيون عريقون في الكَذب، وهم " كُسالى وسيئو الظن"، وهم في كل شئ على طرف نقيض من العرق الأنجلو– ساكسوني في وُضوحه، ومُباشَرَتِه، ونُبلِه."[17].. لكن؛ هذا الكلام وإن كان فيه الكثير من الصحة لا يمكن تعميمه، عدى عن أن البعض من العرب اليوم أكثر إنسانية من الكثير ممن حولهم، لكن ربما كان حقيقة الحال هو أن تَحَكَمَ قليلو الكفاءة بالجديرين منهم أو بتعبير آخر طردت العملة السيئة العملة الحسنة لمجرد أن العملة الحسنة لا تملك آليات تحميها وتقويها؛ عدى عن أن قلة الكفاءة والنقص هو شر والشر قوة ولذلك هو قادر برفة عين على تخريب ما استَغرَق الكثير من الجهد لبناء القُدرات والكفاءات.

لذلك لا تكتمل ثقافة الاستغراب دون تمحورها على فعل الإرادة ولابد أن يشتمل وصفنا له بأنه إرادة صلبة هدفها تكوين مركزية إنسانية عربية من آلياتنا ومن صميم تكوين عقلنا العربي ودعمها وإبرازها أوإذا تطلب الأمر التنقيب عنها بفكر مُنصِفْ مُدَقِقْ وباحث فإذا"وفي هذا المضمار المذكور:

" من نحن في حاجة إلى الرجوع إليه لتأصيل فكرنا وثقافتنا، هل نظرية الفيض السينوية التي قال عنها ابن رشد. " إنها كلها خرافات وأقاويل أضعف من أقاويل المتكلمين "... أم النزعة العقلية الواقعية الرشدية، النزعة الرياضية المنطقية؟ ابن سينا يرى المعرفة تنزل من السماء إلى الأرض، وابن رشد يراها تصعد من الأرض إلى السماء. فأيهما أقرب إلينا؟ ". لا نتردد في الجواب: ابن رشد. "[18]

نعم ابن رشد؛ حتى ولو كان المصير بتبني فكره القلق والاضطراب وربما النبذ... ولن يكون، لأنه من أجدر من فلسفة ابن رشد لتحرير العرب اليوم من تخلفهم ومن ذلهم وهوانهم، ومن هو أجدر منه لتجديد الإيمان والفكر الديني خصوصا" وتجديد الفكر العربي عموماً، ومن هو السبيل الأقوى منه لإعادة الاعتبار للذات العربية قولا" وعملاً ذاتنا التي أضحت سيئة السمعة في الوسط العالمي وخاصة عندما أدرك الغرب أنَّ مُفكر استثنائي كابن رشد لا يمتلك حاضنة فكرية تليق به في بلادنا العربية وليس لدى شبابنا العربي رصيد فكري عنه ولا معرفة معمقة به لإدراك أهميته.

---

[17] **سعيد، ادوارد: *الاستشراق*، المصدر السابق ذاته، 70.**

[18] **الحبابي، محمد عزيز: *مفاهيم مبهمة في الفكر العربي المعاصر*، دار المعارف، القاهرة، دت، 99.**

ولكن لابد من التنبيه إلى أن الاعتراف المرجو بابن رشد لدى العامة والشباب العربي لا يعني نزعه مِمَن تبنى فكره آلاف من السنين وممن طوره وأعطاه حق قدره فقد شهد التاريخ وسجلت الأحداث وتكلمت ظواهر الحضارة وذلك في الجانب الغربي.

واليوم مع الفكر الاستغرابي المُتُوَخى نحن مُتَطَلّعون –إن صحت الصياغة– لِلَحظة غفران تاريخية عن ذنب دام قرون من السنين مُثَقِلَا" روحنا العربية بإثم كبير، وإنه اليوم –مع علم الاستغراب – سنسعى للعمل للحظة تقدير الذات العربية لنفسها واستعادتها لكرامة فقدتها لآلاف من السنين، فمع الفكر العلمي النهضوي العربي من داخل عبقرية علوم الدين وعلوم القرآن وعلوم اللغة العربية سيغدو الحال أن ليس هناك مكان لضعف الإيمان أو الشك والردة الفكرية كما كان الحال تحليلا" وتحريما" دون أدنى فكر أو برهان فغدى الدين مع ذلك عرضة للاختراق ودخلت إليه معارف خلخلت أعمدته وغدى العقل العربي مُغرر به باسم الحلال والحرام، واليوم يتعلق رهاننا على استعدادنا وعلى تأثرنا بالمقنع والمفيد ويرتبط بمدى قدرتنا على توظيف ما لدينا بحنكة مفرطة لتحقيق النهوض المرجو، لأن الأخذ الكلي المتوخى دون تأسيس علم للاستغراب ولدراسة الغرب هو إقتباس للحضارة الغربية بكل ما فيها من خير وشر وهو أمر مسئ أولا" لمنطق الاقتباس وعبء ثانيا" على الحضارة التي جهدت في تكوين ذاتها على مرّ الأزمان.وهنا تدفعنا الفكرة لتقديم نقد لمنهج المفكر والأديب طه حسين الذي عاين كُل شيء بعين أوروبية بكل تقييماتها ومعايير الرؤية عندها. لذلك باستلهام ابن رشد سيعود الفكر والعقل بكل إنتاجه إلى موقعه الطبيعي، ومعه سيكون تطور مادتنا العربية متسببا" في تطور فكرنا العربي فندرك حينها أن العالم محكوم بالضرورة وأن العقل مُضطَر لقبول الحق. وهذا كله يجعلنا ندرك الأمر الهام مع استلهام فكر ابن رشد الذي مثل ذروة إبداع العقل العربي وقمة تألقه أن جوهر الإسلام هو: " رسالة لا حكم ودين لا دولة ودعوة إلى الله لا خلافة " [19].

ونحب هنا أن ننوه أن تنشيط العقل والعلم ودعمه بالتجربة كخطوة هامة لتأسيس علم الاستغراب لا يعني قتل العاطفة وذلك بسبب تكامل العقل مع القلب في عَمَلِهما عند الإنسان السوي فالعاطفة تشكل إن كانت سليمة هاديا" وموجها" للأهداف وخاصة عندما تكون إيمانا" بالله وذلك حسب رأي برغسون فيلسوف العاطفة الذي برز في المقطع الآتي :

" على حين أن أكثر المفكرين المعاصرين إيماناً مثل برجسون جعل الله داخل للطبيعة دافعا" للتطور "[20]

وهنا بهذه النقطة تحديدا" جوهر الاختلاف بين الإنسان والحيوان في الضمير المرتبط **بالإيمان** *وبالتقوى؛ فالإيمان هو الذي يُمكننا من اتخاذ درب في هذه الحياة، والإيمان هو الذي يعيننا على تغيير ما يبدو محتوما" بنور العقل وبسلاح العلم وبسلوك المران والتدريب لنسير بهم جنبا" إلى جنب مع نور العاطفة، فيغدو الأمر نورا" على نورا" وقوة تعانق قوة.

لن يتم ما ذكرناه دون البدء على أقل تقدير بدعم الإيمان بأنفسنا وبتركيز العمل على مسألة تشذيب الذات وصقلها المستمر، وخاصة أنه اليوم نظرية مستشرق واحد ليس من الضروري أن يكون مصيباً في الحكم قد يتحكم في مراكز القرار وبمصير شعب بأكمله. وعدى عن أن الكثير اليوم من الغرب يرى حضارتنا كعلقة شرهة تريد أن تمتص

---

[19] حرب، علي: *مداخلات*، دار الحداثة، بيروت، ط1، 1985، 189.

***أيضاً اعتبر ابن خلدون أن الإيمان والدين هو الذي يدفع بالتطور إلى الأمام ويجعل الحياة الإنسانية أفضل انظر: كتاب " *فلسفة التاريخ عند ابن خلدون*" ل د. زينب الخضيري 110.**

[20] حنفي، حسن: قضايا معاصرة. في فكرنا المعاصر، مرجع سبق ذكره، 109.

دمه انطلاقاً مما يتم الترويج له كدعاية نزقة من قبل مستشرقين ومتعصبين دينيين تحكمهم صورة تكاد تكون أقرب من الخيال لا تبرء من الحسد والقلق من ذلك الإسلام الموجود في منطقة غاية في الأهمية وهي منطقة حوض البحر المتوسط ولا تخلو أيضا" من الجهل بالكثير من حقيقتهم، وتغيير هذه الصورة اليوم متوقف على مبادرتنا العربية.

مبادرة شبهها الدكتور حسن حنفي في كتاب " مقدمة في علم الاستغراب " بترتيب البيت ثم صونه وحفظه بسور خوفا" عليه من الغزو؛ ومن ثم الانتقال في مرحلة لاحقة إلى الهجوم على كل منزل آخر يرغب في التحكم فيه والسيطرة عليه وكان ذلك مقترح منه لتحرير الأنا العربية من حالة الرهبة والخشية التي تعيشها أمام الآخر وكذلك من حالة الهيام والتوهان ومن ثم عدم التوازن، ولاما نع في مرحلة لاحقة من تصحيح أخطاء تصميمات البيوت الأخرى صوناً لها من أن تخرب نفسها وما كل ما يحيط بها.[21]

فعقلنا العربي اليوم وفكرنا يكمن سبب تعطله وخروجه من التاريخ ويعود تعزز الفوات التاريخي بينه وبين العقل الغربي إلى أن: " التصور الشائع للفكر العربي في تطوره عبر التاريخ تصور لا يخضع للمنطق لأن هذا الفكر لم يُعقلَن، ولم يتم تقديمه على أنه " تاريخ وتطور وصراع "، بل هو مجموعة من الأفكار والاتجاهات. لذلك، كان من الضروري تنظيم التراث في الوعي العربي خلال إعادة ترتيبه في سياقه التاريخي، لكي يصار إلى إدخاله في التاريخ فيدخل معه العرب في التاريخ. من هنا يعتبر الجابري أن أول وأهم خطوة منهجية يجب القيام بها تكمن في إحداث قطيعة مع الفهم التراثي للتراث. إن كل فكر لا يمكنه تحقيق استقلاله الذاتي يعمد إلى تعويض هذا النقص عن طريق جعل موضوعات هذا الفكر تنوب عنه في الحكم على بعضها. ينتج من ذلك ذوبان الذات في صلب الموضوع الذي ينوب عنها ويقوم بدورها، فتغرق الذات عندها في الماضي، تبحث عن سلف ترتكز عليه من أجل إعادة الاعتبار لها، والرفع من شأنها."[22]

لذلك بعد تشخيص الحال العربي لابد من أن تكون الخطوة الأهم لتأسيس علم الاستغراب متوقفة على مدى القدرة على الرفض والاحتجاج الهادئ الممزوج بآلية توجيهية بناءة تعزز المثمر والمنتج وتهدم الخاطئ المحكوم بأيديولوجيات من الوهم الذي يغيب فيه التفاعل والاحتكاك الحقيقي بين العقلين العربي والغربي لتعرية الصورة المشوهة وسوء الفهم المتبادل: " لاشك في أن أكثر مشكلة فلسفية ثابتة هي مشكلة العصر الحاضر، مشكلة من نحن في هذه اللحظة الدقيقة، ولا شك في أن الهدف الرئيسي اليوم ليس أن نكتشف بل أن نرفض من نحن. يجب علينا أن نتخيل وننشئ ما يمكن أن نكون عليه " [23]

وتتركز المسألة في إعادة الريادة والدور للعقل العلمي التجريبي العربي الذي يشكل جوهر وحقيقة الدين بدلا" من سيطرة الدين التقليدي على الهوية والمشهد الفكري العربي معداً نفسه بديلا" عن العقل النهضوي العربي العلمي وذلك لأنه مهما غابت الحقائق بأقوى التنظيرات وأكثرها ضبطا"ودقة لن تغيب حقيقة أن " العقل من أجلّ القوى الإنسانية وعمادها. والكون جميعه هو صحيفته التي ينظر إليها. وكتابه الذي يتلوه. وكل ما يقرأ فيه فهو هداية إلى الله وسبيل للوصول إليه ".[24]

---

[21] **انظر: *" مقدمة في علم الإستغراب "* لحسن حنفي بتصرف 789-790.**

[22] **أبي نادر، نايلة: *التراث والمنهج بين أركون والجابري*، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت ، ط1، 2008، 243.**

[23] **Michel Foucault. *qu,es t- ce que la critique* .op. cit...43.**

[24] **عبده، محمد: *الأعمال الكاملة*، دراسة وتحقيق: محمد عمارة، بيروت، 1972، ج1، 183-184.**

لذلك كان العقل العلمي هو جوهر لغة الحضارة ونقطة الفصل بين الوجود الحق والوجود الزائف ونعتقد اليوم أن الأمر الذي آن له أن يحرِّك العقل للبحث والتحري هو مرارة التخلف وسوء الحال فالله جل وعلا في مواقع لايمكن حصرها حض الإنسان على إطلاق عجلة الإنتاج العقلي والفكري ف:" أطلق للعقل البشري أن يجري في سبيله الذي سنته له الفطرة بدون تقييد ".[25]

والعقل العلمي والتجريبي هو الذي يمكن صاحبه من نقد الذات تلك الذات التيبلغت قدرا" من العلمية والموضوعية الحد الذي يمكنها من رؤية النقص والخطأ والخلل دون أن ترى في ذلك أمرا" معيبا" فتعمد إلى تكثيف الجهد الاجتهادي بجرأة على موضوع الدين كخطوة أولى وأساسية وذلك بسبب ثقله المعنوي وأهميته المعرفية وانتشاره الواسع فلا تغيير حسب اعتقادنا في العقل الجمعي إلا به وبوساطته هذا يجعل التطرق لظاهرة الأصولية كمنظومة فكرية مغلقة تشوه حقيقة الدين معتمدة التضليل وتشويش الحقائق وتتسبب بغياب العقل أمرا" ملحا" ومركزيا" في تقديم العلم المسمى بعلم الاستغراب لأنها الظاهرة المسؤولة عن ضبابية المشهد وتردد القرارات.

رابعاً: ظاهرة الأصولية المعاصرة:

لا عجب أن نحدد في بحثنا هذا الهدف المركزي من تأسيس علم الاستغراب في مسألة مُجَابَهة تبعات ظاهرة الأصولية المعاصرة باعتبارها منظومة فكرية تُجهض تحرير المسلمين من السياجات المُغلقة باسم الدين وباسم الإسلام نفسه؛ وتكون المجابهة المطلوبة هي بالتعرف على انعكاس مثل هذه الظاهرة على عقلنا العربي لأن من أهم ما نتج عنها هو تقديم المعاني المُتشنجة والقراءة المُتصلبة للأمور فكانت معبرة أبرز تعبير عن صيام حروف النص القرآني عن مائدة المعاني الغنية صيام محكوم بالقطعية في الفهم والسطحية في التلقي الفكري، لذلك لا عجب أن تكون ظاهرة الأصولية المُعاصرة من نتاج ظاهرة التطبيع الثقافي مع إسرائيل الذي كان ولازال صورة بارزة من صور المد الاستعماري الغربي ونتيجة من نتائج عنجهية العقل الغربي وتسلطه العنيف وتعبير عن شرهه للتغلغل في كافة الأصعدة وبخاصة في مجال تزييف الوعي السليم وتضليل الحقيقة ومن ثم الغزو الفكري ويتبدى جوهر التطبيع أكثر في المقطع الآتي المُنتقى من كتاب " الفكر العربي والتطبيع " وفيه:

" التطبيع هو فعل مضاد ومعادِ للوجود العربي بِرُمَّتِه، وأن قيام جبهة ثقافية عربية لمواجهته هي السبيل الأمثل لتصليب الإرادة القومية والسعي المشترك لتكريس الثقافة القومية في جوهرها الإنساني والتقدمي والنضالي ضد التخلف وضد التزييف والتضليل، ومن أجل الحقيقة ومسؤولية التكوين الإنساني النبيل. "[26]

فتأثير ملحقات عملية التطبيع الثقافي جعل فكرنا العربي يوصف بأنه خارج التاريخ وعقلنا العربي يسيطر عليه **النمذجة والقولبة***

والطريق الذي سلكه العقل العربي في سعيه لتجاوز ما كرسته ظاهرة الأصولية من عوامل قادت العقل العربي للانسحاب والتراجع؛ كانت في الأعم والأغلب وقوعا" في سلفية فكرية لا تقل خطورة عن ما يسمى بالسلفية الدينية ومنها مثلا" تمثل نموذج الحداثة الأوروبي العلماني أو الروسي الماركسي أو اعتناق منهجية المستشرقين الطاعنة في

---

[25] عبده، محمد: *الأعمال الكاملة*، المصدر السابق ذاته ، 184.

[26] أبو هيف، عبد الله: *الفكر العربي والتطبيع*، دار المنهل، دمشق، ط1، 2001، 10.

***التخلص من حالة النمذجة (المسمى التقليدي لحالة التأطير الثقافي)هو أمر ضروري لتأسيس علم الإستغراب وذلك بالإنتقال من المحاكاة والتقليد إلى تأسيس علاقتنا مع الآخر انطلاقا" من ما يسمى مرحلة الإقتباس الواعي الذي لا يلغي الهوية بل يدعمها ويعززها فكل ما ينطلق من الوعي لابد أن يكون إنتاج مثمر ورصين. انظر: روجيه غارودي وآخرون في كتاب *" الحضارات صدام أم حوار"* بتصرف 60.**

قدرة العقل العربي والمشككة في تمكن الجنس السامي عموما" من تملك صفة العلمية،مُعتبرة أن الحل الوحيد لتمدينه هو المنطق الجبري سواء بفرض جبرية الماض عليه كما جرت أحداثه في التاريخ أوجبرية التغريب وفرض نموذج التحديث الأوروبي الأوحد أو جبرية سلطة اللامعقول المُتحكمة فينا أحيانا" باسم حق المجتمع حتى ولو كان المتكلمون باسمه هم الغوغاء أو المُهمشين وذلك دون مبالغة منا في الوصف؛ فمن ماسبق نرى أن:" الفكر العربي الحديث والمعاصر "سلفي النزعة والميول" يبحث عن ركيزة يتحصن بها، مع الإشارة هنا إلى أن الفَرق بين اتجاهات هذا الفكر وتياراته يكمن في نوع السلف المُعتمد. يذكر أنواع هذه "السلفيات" ويحصرها في ثلاثة: السلفية الدينية، والسلفية الإستشراقية، والسلفية الماركسية."[27]

فالسلفية الدينية اليوم تظهر باسم حركة الأصولية المعاصرة والتي لا غنى عن التذكير فيها مرارا" وتكرارا" بأنها ليست من صنع مؤمنين ورجال تقوى ولا حتى رجال دين بل هي صناعة أيديولوجيات استعمارية أوفي أقل تقدير نتائجها في المجتمع تخدم مصالح التغلغل الأمريكي الإسرائيلي، ويعود ذلك لأن العقل الأصولي المُؤدلج مُنكر لمنجزات العقل لأنه مَحكوم بالدوغمائيات والهويات المُغلقة المُعَطِلَة لحركة التاريخ والمجتمع والمُشلَّة لتفتح الإبداع والمجهضة لإنطلاق عجلة الإنجاز العربي.

" والخلاصة أن العقل الأصولي مُلتبس ماهية وتشكلا" وعملا" وتنظيرا"، تماما" كما هي حال كل عقل يستمد من الميتافيزيقا، فلسفية كانت أم دينية، ضوابطه ومشروعية أحكامه، من دون أن يكترث بالتجربة التي تحكم للشيء أوعليه. بدنيويتها؛ بمعنى الإقرار بالتكامل بين الدين والدنيا وفقا" للحديث المأثور عن النبي محمد " أنتم أعلم بأمور دنياكم"[28]

وأمور دنيانا اليوم تستدعي استلهام كل أيديولوجيا من شأنها أن تبعث الهمم وتستنهض الفكر العربي لنتجاوز به حالة التأخر التاريخي التي يعيشها العرب، وكما تستلزم دحض الأيديولوجيات الرجعية والمُثبطة التي تجهض مشروع نهضة العرب ومن ثم الإنتقال بالفكر من حيز المُفارقة إلى حيز المصالحة مع الواقع تلك المصالحة التي تقض على الفكر المؤدلج بنوعه المزيف للحقائق وتكشف الستار عنه وبما أن:

" الأيديولوجيا محددة بزمان ومكان معينين لاتتعداهما وهي إما رجعية محافظة أواصلاحية، توفيقية، أو راديكالية ثورية. وكذلك إما أن تكون أداة لتوضيح الحقائق ونشر الوعي الحقيقي، وإما أن تنشر وعيا" زائفا" للحقائق.إن إحدى صعوبات النهضة العربية ومُعوِّقاتها، هو الصراع الأيديولوجي التناحري الذي اتخذ شكل خطوط سياسية فكرية مُطلقة بين القوى التي تصدت لقيادة النهضة العربية، فبعثرت قواها، وأجهضت محتواها، وأفشلت مَسِيرَتها."[29]

فلابد من تحرير الأيديولوجيا العربية من تعقيدات الماضي ومن الخثرات التي جعلت العرب على مرعصور مديدة خارج التاريخ ولابد من التركيز على أيديولوجيا التفاؤل المدعم بالفكر النقدي والعلمي.

ففشل مشاريع الليبرالية العربية الوطنية أوتعطلها وتوقفها عن التأثير جعل العقل الدوغمائي الديني المغلق يكتسح المشهد ويتكلم باسم النهضة وذلك في ظل مناخ عد فيه المسلمون والعرب أنفسهم كأنما سقط عنهم التكليف أو بالأحرى تصرفوا وكما لو أنهم غير مكلفون حضاريا" فاعتاد السواد الأعظم على ثقافة الأخذ وعلى المصدر الأحادي للفكر .. "

---

[27] **أبي نادر، نايلة: *التراث والمنهج بين أركون والجابري*، الشبكة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2008، 243.**

[28] **سعد، حسين: *الأصولية الإسلامية العربية المعاصرة بين النص الثابت والواقع المتغير*، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط1، 2005، ص28-29.**

[29] **اليساوي، شاكر: *طريق العرب إلى النهضة* ، بيروت ، ط1، 1998، 145.**

مع مطلع الثلاثينيات من القرن العشرين، أفادت السلفية المُتشددة من هذا المناخ ففرضت قيمومتها عليه. وأخذت تعزز من سطوتها على كل تجديد فكري أتى به أعلام النهضة أودعوا إليه؛ ثم اندفعت إلى نشر دعوتها القاضية بالعودة إلى كتاب الله وسنة رسوله. وإرجاع الناس إلى هداية الإسلام الحنيف؛ واعتبار نفسها البديل عن الاتجاهات الفكرية الحديثة التي وصفتها بأنها ضرب من الخضوع لغواية الثقافة الغربية الاستعمارية، وعن تعثر أنماط وأنظمة الحكم والقيم الأوروبية المستوردة كما اعتبرت نفسها الوحيدة القادرة على تقديم الحلول للقضايا الأيديولوجية والتناقضات الاجتماعية خلال التأكيد على أن القرآن هو دستور الأمة والأساس القوي لقيام المدينة الفاضلة "[30]

من المؤكد لا يمكن بأي صورة أن نطعن في مسألة اعتبار القرآن الكريم دستور الأمة وكما أنه لا نهضة إلا من داخل عبقرية الفكر الديني والعربي ومن آلياته ومسمياته، ولكن ما ننقده بالتحديد وما عطل حركة التاريخ العربي هو القراءة السطحية له (للقرآن) والتفسير الحرفي النصي والفهم التقليدي للدين، ولأن الفهم النصي والقطعي عقيم فلا بد أن يتجلى المطلوب في دراسة عميقة له للكشف عن روح النص ولوضع اليد على جوهره المعطاء الذي لا ينضب ذلك الجوهر الذي يقدم سيلا" فياضا" غير محدود الأفق، وكلما استغرقت الذات فيه كلما حصلت منه على أحكام ومعاني لا تنضب والأمر لا يتوقف على موهبة عند الباحث أو القارئ له فحسب بل على مران وتدريب وإرادة لكشف اللآلئ التي ينطوي عليها، فذلك يمكن المطلع من ربط المعاني المستخلصة بالواقع اليوم و بكل مكان وزمان وخاصة إذا طبقت منهجية النقد التاريخي في قراءته وتفسيره وذلك هو جوهر التغيير المتوخى اليوم لأنه:" ما أسهل اتخاذ المواقف التي تتجنب رؤية الواقع كما هو، فتهرب إلى الأمام، وتتخلى عن التاريخ تحت اسم مساعي ومبادرات تأسيس التاريخ الجديد، التاريخ الذي يقطع مع الموروث في كليته، ليتبنى موروث الآخرين وثقافتهم. إن الموقف السليم في نظر الجابري هو الموقف الأكثر تاريخية، أي الموقف الذي لا يغفل طبيعة التناقضات التي توجه الواقع، ويسعى لاستيعابها انطلاقا"من بناء المواقف المعتدلة والاختيارات التي تفرط في الذات ... "[31]

فتجنب رؤية الواقع والمحاولة الدائمة للتعلق بمرجعيات ومبادئ كسبيل نجد فيه نهوضنا وننشد خلاله تغيرنا ناتج عن الفكر الديني التقليدي وعن العقل العربي الأصولي النصي الحرفي المنصرف عن المع نى إلى مماحكات لفظية ظاهرية لا تمس جوهر المشكلة وهكذا لا نبالغ في الوصف بقولنا:

" إن وجود الإسلام إطاراً مرجعياً جاهزاً في بنية خطاب النهضة الذي أخفق إخفاقا"مُذهلاً في إنتاج وعي علمي بالدين والتراث – هو الذي سَمَح للسلفية بالانقضاض على كل إنجازات خطاب النهضة حين سقطت كل الواجهات والشعارات، لأنها وجدت في خطاب النهضة ذات سلامها القديم "[32]

لذلك علم الاستغراب ليس عملا" يخص الذات ولا دراسة للكيان العربي فحسب؛ بل هو الرد على الآخر الغربي بالبرهان، والسعي لإصلاح ما صدق الغرب به في وصفنا وما بالغ فيه، فجلد الذات والقسوة عليها وربما انتهاك المألوف والمعتاد لا يعتبر اليوم فعلا" تدميريا" مخربا"بل هو ما يمكن تسميته بالتدمير البناء المتضمن اعتراف بالتقصير والمحتوي على رغبة صارخة في التغيير وهو لحظة يقظة متجددة ومكان الانطلاق لبلوغ قمم الإبداع المحلي إلى سماء الإنتاج وهو التحرر من هاوية التبعية إلى جنة العلم العربي وإلى المعرفة الرحبة الطاعنة لكيان الجهل المظلم الذي طالما أبقى الذات العربية متواكلة مرتبطة بالغير ارتباط تبعية.

---

[30] **خليل، فؤاد: *الفكر النهضوي العربي*، دن، دم، دع، 259.**

[31] **عبد اللطيف، كمال: *الفكر الفلسفي في المغرب*، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، 2008، 12-13.**

[32] **عبد الغني، مصطفى: *تيارات الفكر العربي المعاصر*، المجلس الأعلى للثقافة ، 2001، 97.**

" فالذات العارفة تغير ذاتها عبر مُمارستها المعرفة، والذات المُستغربة تفجر ذاتها بصورة متواصلة عبر استنطاق الآخر من موقع النقيض. إن الاستغراب ليس عملية تطهير للذات (الجوهر) وإعادة الثقة إليها، كما يعتقد حسن حنفي، إنما هو عملية زعزعة للذات وتشكيك فيها وتفجير لعناصرها وتجاوز لها صوب العقل العلمي الثوري الذي يأنف الثوابت. إن الاستغراب هو الدرب الفكري لبناء عقل حركة التحرر القومي العربية، أي رفع واقعها إلى مستوى ضرورتها التاريخية، وتزويدها بالسلاح الذي يمكنها من تحقيق مهماتها التاريخية. هذه هي الخارطة العامة للثقافة العربية المعاصرة: ثقافة الاستغراب في مجابهة الإستشراق والاستشراق المعكوس، ثقافة التحرر القومي العربي في مجابهة ثقافة البورجوازية التابعة. "[33]

فالبداية باستلهام النزعة العقلية التي برزت عند الكثير من المفكرين بصورة أو بأخرى بغض النظر عن سلبيات البعض وعن تميز البعض منهم عن الآخر لكن كلها كانت بصورة أو بأخرى فيها من فكر ابن رشد.

فعلى سبيل المثال نزعة محمد عبده الذي كان متمثلا" نزعة ابن رشد العقلية إلى أقصى حد ممكن وظهر ذلك جليا" عندما آثر محمد عبده نزعة العقل معتقداً أن أي تعارض بين العقل والنقل هو ببساطة تعارضا" ناتج عن فهم مغلوط للنص وذلك لأن العقل مضطر لمطاوعة الحق والقبول به. فما سعى محمد عبده لتأكيده هو فكرة المعاصرة وتفهم التحديات الحاضرة التي تحيط بالشخص العربي فما نفع انتزاع أي حادثة من الماض ولصقها على حيثيات الحاضر متجاهلين مطالب اليوم وآلياته، ومحمد عبده أعطى الأولوية للعقل على النص الديني وذلك لأن النص أصلا" وُجِدَ لخدمة الإنسان وصالحه وهكذا النص لا يعارض العقل لكن من جهة أخرى العقل قد يكون عاجز على الإلمام بكل التفاصيل العلمية المعقولة لأن ذلك متوقف على حدود قدرة البحث والتحري والتحقق من الظواهر، " والحقيقة، أن مدرسة محمد عبده تمثل امتدادا" " عصرياً " للنزعة العقلية المعتزلية ."[34]

وما قصدناه هنا في هذا المقطع هو التركيز على كل نزعة همها التحرر من حرفية ظاهر النص القرآني إلى تفسير النص إنطلاقا" من ظروف العرب المُعاصرة وممكنات حاضرهم لإستشراف المستقبل مهما كان اسمها أواتجاهها، وهنا ما ندعو له لايتعارض مع نزعة دينية من نمط خاص تأخذ بالقول **بالحلول***؛ أي حلول الله في العالم بنفس معنى تغلغله في العالم والعلاقة المباشرة بين الله والإنسان دون وجود وسيط كما اعتبر ابن رشد. فكل ماسبق يركز على فكرة أن الله يعطي الخير؛ **إن** طلبت الخير بآلية فكرية ذات هدف وإن سعيت لذلك بآلية عملية.ولابد من التنويه إلى في آخر المقطع إلى ضرورة عدم خلط أنظمة المعرفة ومزجها مع بعضها لأن ذلك سيعقد الثقافة ويعطل سيرها واطرادها. إذا" نستنتج أن علم الاستغراب يركز على نزعة ابن رشد والنزعة العقلية الرياضية التجريبية وهي سبيل التخلص من تهم سلفية الفكر الإستشراقي لذلك نعرض المقطع الآتي :

---

[33] غصيب، هشام: *تجديد العقل النهضوي* ، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2004، 118.

[34] تيزيني، طيب: *من التراث إلى الثورة*، دار دمشق، دم، دع، 333.

***انظر: *مقدمة في علم الإستغراب* لحسن حنفي نوه فيه إلى أنه كما علينا أن نسعى للإنتقال من النص الديني إلى الواقع وإعادة منهجية الفكر الديني من القراءة الحرفية إلى التأويل واعتبار اللحظة الراهنة والمصلحة العامة وهوالمسمى " باسباب النزول" و " الناسخ والمنسوخ" أي الواقع أساس النص ومتطورا" بتطوره وكلام الله هو في الحقيقة كلام الإنسان طبقا" لتجاربه وخبراته فالوجود الانساني الفردي والجماعي هو منشأ النص.كذلك حض على الإنتقال بعلوم التصوف من حالة الفناء إلى حالة البقاء وهذايفضي إلى نفس النتيجة التي ترى أن الله متجسدا" في نظام الكون وعلاقاته السببية أي الله سبحانه حالا" بالعالم مع ضرورة عدم الخلط بين أنظمة المعرفة .بتصرف 84.-86**

خامساً: الإستغراب رداً على جنوح الفكر الإستشراقي:

حالة جنوح العقل الغربي ووقوعه في مطب النرجسية المفرطة في مرحلة مابعد الحداثة وتحوله إلى عقل ممسوس أو مسحور بعنجهية التميز والتسلط وعدّ نفسه آخر منبر للعلم والعقل والتطور حالته تلك تدفعنا اليوم إلى تأسيس العلم المسمى بعلم الاستغراب.

وهو (أي علم الإستغراب) كما نطمح لتأسيسه ليس تحطيما" للحضارة الإنسانية الغربية بعلومها وفنونها ومنجزاتها، ولااستنكارا" لقدرتها الخَلَّاقَة على الأتيان بالجديد وسعيها الحثيث لتطوير ذاتها، بل هو رفضا" لفكرة بناء الذات على أساس تحطيم الآخر، ورفضا" لمُبتغى التألق الحضاري الذي يتطلب ضمور الآخر متجاهل وحدة الإنسانية وقدرة أي شعب على التغيير بالتدريب والمران والإصرار. ودليلنا على ما سبق هو:عندما سُئِلَ على سبيل المثال العالِم الذي قام بعملية استنساخ النعجة دولي كيف توصل إلى هذا الاختراع وكيف حققه وهل كان ذلك ناتج عن ذكاء كبير أوصله لذلك، فما كان جوابه إلا أن التجربة والتدريب والإرادة والمواظبة وعدم الاستسلام هو الذي كان يقف وراء تحقيق هذا التميز الذي ذكره تاريخ الطب. إذا" فكرة العقل والتجربة ينطوي على معنى قدرة كل شعوب العالم على تحصيل المعارف وهذا يندرج تحت مسمى تأميم الحقيقة الذي ظهر في المقطع التالي:" تأميم الحقيقة. ذلك أن مفهوم الحقيقة يمّحي. ويضاف إلى ذلك أننا نجد أن آخر موجات التنظير وأعلاها تساهم أيضا" في طمس الحقيقة "[35]

ولكن صورة الغرب الفوقية عن نفسه لن تخمد طالما أنه مؤمن بالقدرة والمواظبة على التدريب ولن نتجاوز كونه في مرآتنا سحرا" وإعجازا" من غير الممكن أن نطوله إلاباستعادة فكر ابن رشد إلى الحضن العربي.ابن رشد الذي تم نكرانه منذ أن وُلِدَ في الضفة العربية، وإلى الآن فكره غريب عن الثقافة العربية. هذا يدفعنا اليوم إلى الوقوف في وجه من يشكل عائقا" أمام إطراد وانطلاق عبقرية العقل العربي وأمام من يقف في وجه دخوله حيز التجربة ولحاقه بالسيرورة الحضارية العالمية، بل أيضا" استنكارهم إلى أقصى حدّ ممكن وذلك لأن الكثير منهم ينطبق عليه قوله تعالى: "يريدون أن يطفِؤا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولوكره الكافرون"[36]

فلولا التاريخ العربي بمنطقه الفكري الجبري أو السلطوي، ولولا الحساد والمُنكِرين للحق لأجل المصالح لما هاجر فكر ابن رشد إلى الغرب عن طريق طلابه غير المسلمين والذين كانوا أشد وفاءا" له من أهله، لذلك لا يمكننا لومهم إن تصرفوا بالمسميات وحوروا ببعض المعطيات فهم كانوا أجدر بتقدير وتمثل الفكر الأصيل مع منهج ابن رشد: " منهج ابن رشد هو الروح التي تبدد الظلام سعيا" إلى النور؛ ويضيف ينبغي أن نضع في حسباننا وأمام نصب أعيننا أن أوروبا قد تقدمت في الماضي لأنها أخذت بفكر ابن رشد صاحب الطريق المفتوح، في حين تأخر العرب فكريا" لأنهم أخذوا بآراء الغزالي اللاعقلانية! كذا "ويقول عبد الفتاح أحمد فؤاد" في بحث بعنوان : " الفلسفة الرشدية ": مدخل إلى الثقافة الإسلامية المستنيرة، إن هذه الثقافة ينبغي تدريسها للشباب العربي كوقاية ضد التطرف الديني الذي يعتبره دعوة إلى الجهل. "[37]

---

[35] أركون، محمد: *الإستشراق بين دعاته ومعارضيه*، ترجمة وإعداد: هاشم صالح، دار الساقي، بيروت،ط1994،1، 120.

[36] *القرآن الكريم*، سورة التوبة، آية 32.

[37] سيف، أنطوان: *وعي الذات وصدمة الآخر: في مقولات العقل الفلسفي العربي*، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2001، ط1. 45.

***الأنا العربية العليا يمكنني أن استنتج معنى هذا المصطلح الذي شعرت بالميل لطرحه على هذا النحو بعملية إجتهادية لما كتب في كتاب *الحضارات صدام أم حوار*" هي لا تعني أن ننكر أننا لسنا بحاجة إلى الآخر من المجتمعات والشعوب الأخرى لأن الإعتراف بالحاجة للآخر يعني أن لدينا إمكانيات غير محصورة والإستغراب هو الإنتباه إلى أن تجاهل الآخر هو وقوع في فخ الغرور الذي يفضي إلى العزلة والأهم من كل ذلك أن السعي لتأسيس علم الإستغراب هو أمر ينطوي بالدرجة الأولى على تقدير إمكانياتنا ودفعها الدائم للأمام كمحفز يصرفنا عن العزلة التاريخية فالإستغراب هو فكر مؤسس على العزة والعنجهية التي تقينا من الأختراق وتحوله إلى تفاعل متبادل قائم على الحوارالمؤمن بإنسانية جميع الحضارات بصور متنوعة وبدرجات مختلفة انظر: كتاب " الحضارات صدام أم حوار " لروجيه غارودي وآخرون بتصرف 58-59.**

وبه وبعد التحرر من العقلانية المحصورة في الإطار الإسلامي والديني بعامة ننتقل إلى التحرر الإنساني الرحب الذي نتوخى منه تحرير العقل من حرفية كل نص وكل مُعطى ومن جبرية كل فكر يقف في وجه مواكبة العرب لمسيرة التاريخ، فمواكبة سير الحضارة هو إصلاحا" في العقل لأنه أداة التواصل البشري بغية الوصول إلى جنة الفكر العلمي ورحب الذات المتحررة من منظومات النفاق المغلقة وعصبيات المظهر إلى عصبيات جوهر متمحورة حول محور تملك مفاتيح نهضة عربية علمية، لنعطي بعدها ونصدر للمستحقين دون أن يتهدد كياننا الحضاري مع مراعاة مراحل هضم الحداثة، فالإستغراب في أحد صوره كما نستخلص لابد أن يتضمن تحصين **أنا عربية عليا*** لأنه هل من المقنع أن يحتكر الرجل الأبيض كما سماه المفكر إدوارد سعيد سمة الإنسان الأعلى الذي سماه نيتشه الوحش الأبيض المالك لكل الصفات العليا من الإيمان إلى المغامرة والذكاء والتواضع والاعتزاز...إلخ وما كان ذلك إلا نتيجة من نتائج نظرية التمركز العرقي ونظرية الجغرافية المتحكمة بالتاريخ اللّتين كانتا:"إن نظرية منطقة المركز كانت الركيزة الأولى للفكر العسكري للغرب كله"[38] بمنطق أقرب إلى التبريري أو الدعائي(منطق صوري) منه إلى جوهر المنطق البرهاني ونتج عن ذلك أشكال متعددة من التمركزات " تمركز عرقي، وتمركز لاهوتي وتمركز عقلي وتمركزصوتي. "[39]

ذلك التمركز همش الآخر وجعل الذات الغربية محتكرة للكمال، ولأجل ذلك أُعيد إنتاج التصور عن العرب والمسلمين إنطلاقا" من هذا المنطق التمركزي الذي قدم وصفا" لنا مُنتزعنا من سياقنا الاجتماعي والثقافي صارفا" النظر عن أسباب غياب العقل العلمي العربي.

وعن فكرة أن الله أفسح المجال أمام كل البشر على اختلاف أعراقهم وأجناسهم لتملك صفة الأعلى وهذا مناقض تماما" للمُتعالي، والفرق بينهما كالفرق بين الأنبياء والمصلحون والمنورون وبين الملوك؛ وكالفرق بين فرعون وموسى فمن أولى لتملك صفة العظمة.

لأن الأعلى هوالذي يتصرف في الأزمات هوالذي يرى الحقيقة بعلمية الفكر وهو الذي يقود المأزق ويتصرف في حال غياب القانون والسلطة والمجتمع أو في حال عدم تأثير كل ذلك.

أما المُتعالي يستغل الناس بمايصب في تأجيج بريقه الخاص بمنظومة مُحكَمَة مِن المُراءات، والأعلى هو الذي يغير ويصنع مُنعطفات التاريخ وتغييرات الأحداث وإن غاب اسمه عن السطح.

لكن هذا لايعني أن هناك أعلى ومتعالي بصورة صرفة قد يكون المرء أعلى بأمور ومتعالي بأخرى، وذلك كله بما يحكمه منطق الحال والظروف التي تحيط بكل منا.

وهناك روايات غير موثقة تُخبر بأن مؤمنو أوروبا الحقيقيون بعد تعرضهم للظلم هاجروا منها إلى القارة الأمريكية بعد اكتشافها، وهذا ما جعل منها دولة عظمى بصورة مفاجئة بغض النظر عن حال آلية التفكير المركزية والاستعمارية التي تحكمها اليوم.

الاستنتاجات والتوصيات:

التركيز على ضرورة تكوين أيديولوجيا فكرية تعبر عن رد فعل معرفي وفكري على منطق المُستشرقين وذلك بتَأسيس قاعدة ومرجعية عربية واحدة صُلبة كَمُتَكَأ لنا ولإنجازاتنا من منظور عربي معاصر مُدرِك وواعِ للظروف العالمية المحيطة ويشارك الجميع في تطويره بهدف مواكبة ركب الحضارة العالمية، والتأكيد بعد ذلك بأن ليس هنالك

---

[38] تيلور، بيترو فلنت، كولن: *الجغرافيا السياسية لعالمنا المعاصر*، عالم المعرفة 282، المجلس الوطني للثقافة والفنون، 99.

[39] كوش، عمر: *أقلمة المفاهيم* . تحولات المفهوم في ارتحاله، المركز الثقافي القومي العربي، ط1، 2002، 139.

مُشكلة من دراسة فكر عربي أوغربي أومن دراسة الفكر القديم أو الوسيط أو الحديث أو المعاصر...ذلك لأن الذات العربية ستكون قد وَصَلَت إلى حال غَدَتْ فيها قادرة على عدم الانجراف وراء المسميات وخلف الظواهر الحضارية وقادرة على عدم التلاشي في أنهار الحضارات الأخرى فتتحرر من مسألة البحث على الاعتراف بها بأن تقوم بتمثل حضارة ما، لأنها بآلية الفكر الإستغرابي ستكون قادرة على التعاطي مع الغير بما تمتلكه من مقومات خاصة بعد أن تكون قد وعتها جيدا"وسبرت كل إمكاناتها ومقوماتها.

ومع علم الاستغراب لابد من ضرورة إدراك أهمية احتضان مفكرين عباقرة وعلى وجه الخصوص ابن رشد ومن يتبنون اتجاهه الفكري من الفلاسفة المعاصرين العرب " إننا في هذه الأيام في أشد الحاجة إلى روح العقل، روح التنوير،الروح التي تجلت في فلسفة ابن رشد"[40]

وذلك لتكون فكرتنا عن ذاتنا تضبطها التجربة ومحكومة بها ولها وليس بما يقرأه الغرب فينا، ولابد أن ندرك دائما" أن الغرب لايكترث بالعرب المُحدَثي النعمة الذين يحرصون على الاعتراف بهم، بل أكثر ما يثير اهتمامهم مفكرين عرب مخلصين لمرجعيتهم العربية والإسلامية ولتاريخ حضارتهم مؤمنين بتملكها مفاتيح النهضة كصادق جلال العظم وحسن حنفي وإدوارد سعيد ...إلخ. فملامح البطش الغربي اليوم ماهو إلاتعبير عن أنانية العقل الغربي لاستحواذه على العلمية وامتلاكه آليات وطرق النهضة له وحده الذي استغرق في التغلغل فيها في كل دقائق وتفاصيل حياته، ومن ثم تسبب بتصدير ما يلهي العقل العربي ويسقطه في غيابات التاريخ وما يرسخ الاستقالة فيه. ويبدو ذلك واضحا" جليا" في كل شرائح مجتمعنا التي غدت مُتلقية لما يصدره لنا الغرب من بريق حضارته على أجهزة الإعلام وما سواها." وكثرت لدينا الدراسات عن الفلاسفة الأوربيين على مدى أجيال عدى بالمصادفة دون هدف قومي أو خطة موحدة، كغايات وليس كوسائل...إن اثبات تاريخية الوعي الأوروبي جزء من عملية تحرر الأنا من الآخر. فالآخر تاريخ والأنا تاريخ، ولكل مرحلة وعصر و إبداع."[41]

لذلك لا غنى من تعزيز حاضنة عامة للمفكرين العرب أمثال العظم وتيزيني وحنفي ومروة وأركون والجابري والكف عن إبقائهم ملفوظين من مجتمعاتهم ومشكك بفكرهم بتهمة التكفير والعمالة.

لأنه دون ذلك ليس من المستغرب أن يصادر فكرهم لصالح الفكر الغربي ولخدمة أيديولوجيا النهر الخالد وخاصة أن العقل العربي العالم يرى في فكرهم جُحوداً ونقيقاً لا مُبرر له عندما يرى في فكرهم تعارض مع ما أنتجه العقل العربي الفقهي الحامل لما يسمى الإسلام التقليدي بعيدا"عن فتح العقل وعن الاجتهاد والمواكبة.

وهذا يجعل التنقيب عن مُحفز للبحث الدائم وعن مُحرك لطلب العلم وتملك صفة الفضول العلمي والشوق المعرفي أمراً هو غاية في الأهمية، بلادنا ذاخرة بالكتب ولا ينقصنا لنعقل سوى عقل ناهض متحرر من الغرائز الضيقة ومن الحاجات المحصورة النطاق، ولكأنه سقط عنا التكليف بحمل رسالة الحضارة فلنجعل توجهنا نحو الحاجات العليا والمَطَالِب الراقية حتى لا ينطبق علينا قوله تعالى: " وَلَقَد ذَرَأنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرا" مِّنَ الجِنِّ وَالإنسِ لَهُم قُلُوبٌ لاَّيفقَهُونَ بِهَا وَلَهُم أَعيُنٌ لَّا يُبصِرُونَ بِهَا وَلَهُم آذانٌ لّا يَسمعُونَ بِها أُوْلئكَ كالأنعام بَل هُم أَضَلُّ أُولَئكَ هُمُ الغَافِلُونَ "[42] وبمستوى أدق وفي مرحلة أعمق تدريب الانتباه لمسألة تزييف الوعي لأنه قد يُجهَض أي فكر باسم ذات الفكر، وتعزيز مسألة التحرر

---

[40] **كتاب** ***" الفيلسوف ابن رشد، مفكرا" عربيا" ورائدا" للإتجاه العقلي "*** **، إصدار المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 199، إشراف عاطف العراقي ، (مؤلف جماعي) ، 12.**

[41] **حنفي، حسن:** ***مقدمة في علم الإستغراب،*** **الدار الفنية،القاهرة، 1991، 788.**

[42] القرآن الكريم، **سورة الأعراف**، آية 179.

من منطق الثأر والهدم ورد الفعل بهدف الوصول إلى رحب فضاء إنسانية مُبدعة مُتحررة من الثنائيات لا تنكر خصوصيات الشعوب وإبداعاتها ولا تنقاد وراء المُسميات التي أودت بنا إلى هاوية التهميش الحضاري والتبعية الكاملة وتسببت بغياب القدرة على التعرف على الأنا العربية وتراثها ومدى تقدمها إلامن خلال ما يحكمه الغرب وبمنظوره وحده فمُسخت الأنا بثقافة انتظار المدد المعرفي. وهكذا علم الاستغراب لن تكتمل بنيته إن لم يكن عبارة عن جهد منطوي على آليتين الأولى هدامة للذات التقليدية البعيدة عن المعاصرة والثانية إعادة بناء لها وذلك لتخليصها من تلوث الخلط المعرفي إلى علمية البحث والتحقق والتحري حتى لا يتم التحكم فينا باسم الحلال والحرام لأنه ما أسهل أن تُغَلَّفْ الأيديولوجيات وتكتسب مشروعية باسم الدين.

المراجع :

1. *القرآن الكريم*
2. أبو هيف، عبد الله: *الفكر العربي والتطبيع*، دار المنهل، دمشق، ط1، 2001.
3. إبراهيم، منصور: *الأمة ..الدين ..الدولة أفكار لزمن قادم*، دار الشموس، دن، 1999.
4. أبي نادر، نايلة: *التراث والمنهج بين أركون والجابري*، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت ، ط1، 2008.
5. اليساوي، شاكر: *طريق العرب إلى النهضة* ، بيروت ، ط1، 1998.
6. بن عرفة، عبد العزيز: *الدال والإستبدال*، المركز الثقافي العربي، ط1، 1993.
7. تيزيني، طيب: *من التراث إلى الثورة*، دار دمشق، دم، دع.
8. تيلور، بيترو فلنت، كولن: *الجغرافيا السياسية لعالمنا المعاصر*، عالم المعرفة 282، المجلس الوطني للثقافة والفنون، دم، دع.
9. الحبابي، محمد عزيز: *مفاهيم مبهمة في الفكر العربي المعاصر*، دار المعارف، القاهرة، دت.
10. حرب، علي: *مداخلات*، دار الحداثة، بيروت، ط1، 1985.
11. حنفي، حسن: *قضايا معاصرة. في فكرنا المعاصر*، دارالتنوير ،بيروت، دع.
12. حنفي، حسن: *مقدمة في علم الإستغراب*، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1991.
13. الخضيري، زينب محمود: *فلسفة التاريخ عند ابن خلدون*، دار التنوير، بيروت، 2006.
14. خليل، فؤاد: *الفكر النهضوي العربي*، دن، دم، دع.
15. سعد، حسين: *الأصولية الإسلامية العربية المعاصرة بين النص الثابت والواقع المتغير*، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط1، 2005.
16. سعيد، إدوارد: *الإستشراق*. المعرفة.السلطة.الإنشاء، ت: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت.
17. سيف، أنطوان: *وعي الذات وصدمة الآخر: في مقولات العقل الفلسفي العربي*، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2001، ط1.
18. عبد الغني، مصطفى: *تيارات الفكر العربي المعاصر*،المجلس الأعلى للثقافة، دم،2001.
19. عبد اللطيف، كمال: *مفاهيم ملتبسة في الفكر العربي المعاصر*، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1992.
20. عبد اللطيف، كمال: *الفكر الفلسفي في المغرب*، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، 2008.
21. عبده، محمد: *الأعمال الكاملة*، دراسة وتحقيق: محمد عمارة، بيروت،ج1، 1972.

22. غصيب، هشام: *تجديد العقل النهضوي* ، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2004.
23. غارودي، روجيه وآخرون: *الحضارات صدام أم حوار*، دار حوران، دمشق، ط2، 2004.
24. كوش، عمر: *أقلمة المفاهيم*، تحولات المفهوم في ارتحاله، المركز الثقافي القومي العربي ،2002.
25. كتاب *" الفيلسوف ابن رشد مفكراً عربياً ورائداً للاتجاه العقلي "* ، إصدار المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، إشراف عاطف العراقي، (مؤلف جماعي).
26. Michel Foucault. *qu,es t- ce que la critique* .op. cit.-